فاصلة

جمعية التجريديين العراقيين

في البدء أؤكد على أنني لست ضد التجريد، وإنما قضيت مدة من قراءاتي أتابع كتابات ووثائق ظهور الحركة التجريدية في الفن وغيره، حتى انني تجرأت وكتبت قبل سنوات بحثاً عن التجريد في الفن الاسلامي والتجريد في الفن الغربي. و لا أزعم هنا أنني أتحدث عن جمعية غير موجودة على أرض الواقع كما يمكن أن يتوقع القارئ ، وان اختلفت ظروف وهيكلية ونظام وأعضاء الجمعية التي أتحدث عنها.

فكابوس الكتابات التجريدية الذي يحاصرني في عملي هو ما دفعني إلى العودة لنشر مصائب هذه الجمعية التي يعود زمن ظهورها واعلان دعواها وبروز كبار رموزها إلى أيام النظام السابق، ايام كان الكلام الواضح الصريح ممنوعا ويقود إلى الموت، فقد وجد أعضاء هذه الجمعية (كما يزعمون) إن التعبير عن الحقيقة، وتمرير الأفكار على رقباء النظام، وإرسال رسائلهم عبر شفرات تتجاوز فهم الرقيب لا يمكن ان يتم الا عبر انتاج كتابة جديدة، فوجدوا فرصة لظهورهم واعلان دعوتهم على الثقافة والمثقفين، وطالبوا بتأييد هذا النوع من الكتابة، وتوهموا انهم يؤسسون لجنس جديد سيفتح مغاليق الابداع وأسراره. فنشأت فوضى جديدة سمحت بها عبثية الوضع السابق، فانتشرت كتابات غريبة تتضمن كل شيء الا المعنى، كل شيء حاضر الا المعنى وحده ، فترى نصوصا، وفوارز وعلامات تنقيط وحروفا وكلمات ومقاطع وفقرات ورسوماً الا انه لو تصدى لتلك الكتابات كبار الفلاسفة وأكثرهم قدرة على مطاردة المعاني ، وفك مغاليق النصوص المستعصية والالفاظ الغريبة لما نجح في وضع يده على معنى واحد يقول شيئاً واضحاً .ولو كانت دعوى هؤلاء انهم بصدد الخروج على الأجناس، أو أنهم يتمردون على الثابت والسائد، لتقبل الناس ما كتبوا وتعاطفوا معه ولكنهم يصرون على أنهم واقعيون وحتى وقائعيون، الا ان فهم الناس تدنى، وذوق النقاد تردى.

أعضاء هذه الجمعية يتوزعون على مجمل حقول الابداع، فمنهم الناقد الأدبي، والقاص والروائي ، ومنهم الناقد التشكيلي والسينمائي والمنظر، والفيلسوف، وهؤلاء تجريديون مهووسون بالغموض،وبالغموض وحده يواصلون نشاطهم ، ومغرمون بتغييب ما لا يغيبه القاموس من المعاني.

وتجدر الاشارة إلى انهم تجريديون في الكتابة فقط، أما حياتهم ونمط ملابسهم وسلوكهم اليومي وانتماؤهم الاجتماعي لا علاقة بالتجريد مطلقاً، ففيهم الريفي وابن المدينة وابن البادية، منسجمون مع بيئاتهم وأعرافهم وتقاليدهم الاجتماعية، وهم محبوبون لطفاء يقومون بواجباتهم الاجتماعية، ويحرضون على الالتزام الواضح بالقيم والمبادئ والدين، مشكلتهم الوحيدة هي انك لن تفهم شيئا مما يكتبون، ولو أقسمت لهم بأنك قرأت عن التجريد والتقيت بكتاب كبار عرب وأجانب من الذين انشغلوا زمنا بهذا الكلام وتجاوزوه لما تراجعوا عن دعواهم في صواب ملتهم الكتابية، وكنت أفسر لجوء هؤلاء إلى هذا النمط من الكتابة (الذي يعزل النص ويغيب المعنى عن الواقع) في بدايات معرفتي بهم بخوفهم من بطش النظام، مع ان فهمي لهذه المسألة يتحدد بوجوب عدم نشرهم أي شيء في منابر النظام. الا انه تبين لي لاحقاً أن ان هؤلاء لا علاقة لهم بالخوف من رقباء النظام ، فقد كتبوا للنظام تجريديات وطنية ايضا، ودوخوا الناس بكتابات تلقوا على نشرها تكريمات مادية باذخة، كتابات هم يقولوا انها (وطنية)، فرحت وصديق روائي مهتم بدراسة هذه الظواهر ننبش ما يكتب هؤلاء ، فلم نتوصل إلى شيء. وعندما نشر بعض هؤلاء كتباً يزعمون انها مفهومة تعاظم ظهورهم وراحت بعض كتبهم تشيع هنا وهناك ويكتب عنها نقاد تجريديون أيضاً، وبعد قراءة تلك الكتب والنصوص عدنا إلى ما أبطل دهشتنا ،وفسر لنا غرامهم بالتجريد الكتابي، فقد بدا أغلبهم بلا موهبة ببساطة، ولا يتوفرون على أي ملكة يمكن تنميتها وتنظيمها، بل ويفتقدون حتى أبسط المعلومات، ميزتهم صف العبارات، ولا فهم لهم بالمباني، وماهي الا حروف وكلمات لا طائل من وراء قراءتها، وسبب لوثتهم انهم تخرجوا في كلية آداب ، أو درسوا في كلية انسانية أو ان بعضهم تعرف على كاتب فرغب بتقليد ما يقوم به، وبعضهم الآخر تجربته طرية في بداياتها وتنطوي على مراهقة البداية وأمراضها ، وستتضح نصوصهم شيئا فشيئا طبقا لتجربتهم ونضجها، وبعض آخر لا علاقة له بالكتابة مطلقا ، وساقه معدله في الاعدادية إليكلية الآداب أو التربية أو لدراسة احدى اللغات، وكان هذا سبباً كافياً ليكون كاتبا وحتى شاعراً .

وتخيلت أن سقوط النظام وتبدل الأحوال، وحدوث الزلزال الكبير الذي ضرب حياتنا سيوقف هؤلاء إن لم يخرسهم إلى الأبد ، وفي الأقل سيوقفهم عن العبث الذي كانوا يقومون به، وتبين أنني كنت أعيش وهماً حقيقياً، فقد ظهر هؤلاء من جديد بعد اشهر من سقوط الصنم ، بجنس جديد من التجريد، ولكن كتابتهم هي هي، بل راحوا يبحثون عن مبررات اخرى عندما يواجهون بسؤال المعنى من جديد، مبررات جديدة وفرتها ظروف الاحتلال والطوارئ التي نعيشها. وفي غضون اشهر غزوا الصحف ومواقع الانترنت، واذا كانوا في الماضي يعانون من عدم نشر ما يكتبون ، فهذه المشكلة قد حلت بالنسبة لهم ، فهناك عدد هائل من الصفحات الثقافية التي تنشر مقولاتهم الفضائية، وطلاسمهم والغازهم التي انتشرت في كل مكان خاصة وان عددا كبيرا من صحف هذه الأيام تعاني من شحة المواد الثقافية ، فتنشر كل ما يصلها ، وأعتقد أحياناً أنها لا تقرأ ما تنشره.

زارني قبل ايام أحد أعضاء هذه الجمعية، وأخذ يعتب ومن ثم يتهجم علي لعدم إسهامي في نشر أدبهم التجريدي ، وأفهمته أننا لا ننشر في (المدى) ما لا نفهمه ، ولدينا اعتقاد أن زمن الخلط بين الغموض والدهشة قد ولى، وأوقات مزج الطلاسم بالجمال قد انتهى، وحلت مكانه زمن الكتابة الواقعية، بسبب أن غرابة الوقائع تفوق خيال التجريديين، فعليهم أن يبحثوا عن كتابة جديدة تنطلي على رقباء هذه الأيام، كتابة تتوازى أو تلامس الواقع.

فهمت من رده علي أنهم لن يتوقفوا عن إرسال كتاباتهم إلينا، حتى نعلن اعترافنا بما يكتبون فاخبرته بأن اعتذاراتنا لن تتوقف لعجزنا عن تقديم هذا الاعتراف، مع أن خوفي منهم أخذ يزداد وأنا اراهم ينشرون خيوطهم العنكبوتية في كل موقع وصحيفة.

اتصلت بصديقي الروائي الذي شاطرني البحث في مصيبة هؤلاء، أسأله فيما إذا لو فاتني شيء ونحن نكتب تاريخ ظهور هؤلاء، فذكرني بفرضيتنا حول طائفة من شعراء الثمانينيات في العراق، وناقد سبقهم بجيل ، فمن نصوص هؤلاء الشعراء ايام كانت حمى الغموض واللامعنى تهيمن على نصوص بعضهم ، أشاعو أن الجمال قرين التجريد، فتقبلها أصحابنا وصاروا ينشرون هذه العقيدة، فخلفوا لنا هذا الكم التجريدي من الشعراء والنقاد والقصاصين وحتى الروائيين، وهم إلى الآن ينعمون براحة البال يسودون الصفحات دون وازع من ضمير أو عقل، وتنشر لهم صحف هذه الأيام، وبعض مواقع الانترنت ولسان حالهم يردد ما قاله شاعر نجفي . آمل أن يكون حياً . (إذا ضاقت بك السبل اصلخ تجريد وهي تمشي)!!! .

قاسم
qassm950@yahoo.com

آصرة العمائر والعقائد الدينية.. المفهوم والطرز والإصطلاح

(٢-٢)

د.علي ثويني
معمار وباحث
thwanyali@hotmail.com

وكلمة (كنيس) تستعمل للدلالة على دار العبادة لليهود ،أما كلمة ((Synagogue المستعملة في اللغات الغربية فهي واردة من أصول يونانية بصيغة ((Sunagage، وترد في القرآن الكريم بصيغة (بيع) كما في: (الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا) . و تذكر التواريخ ان بدايات هذا المعلم الديني كانت قد سبقت السبي البابلي في القرن الخامس قبل الميلاد وأنتشرت في جنوب فلسطين(يهودا)،وقد خربت خلال حروب السبي وما بعدها لاسيما إبان الثورة المكابية (بحدود العام ٧٠ ق.م)، وأقدم الآثار الشاهدة تعود إلى نهايات القرن الثاني الميلادي وهي مقبلة نحو الجنوب ،وبنيت بالحجر وعلى الطرز الفلسطينية التقليدية .وهذا الأمر يدل على أن لا وجود لعمارة تقترن بالديانة اليهودية، حيث تطورت عمارة بيوت العبادة اليهودية في كنف الطرز العمارية المحلية، فمثلا كانت أمينة على تجسيد عناصر العمارة الإسلامية في الأندلس أو الخصوصية الإقليمية لعمارة أوربا النهضة .وتأثرت في الأندلس بعمارة المساجد بينما في أوربا بعمارة الكنائس ،وهي عادة تكون ذات مسقط طولاني وتقع على طابقين الأرضي فيها مخصص للرجال والعلوي مخصص للنساء ،وهو ما يحاكي المسجد .وتزود بطنف فوق العقد المعاكس للمدخل. ومن أثاثها منبر لصعود رجل الدين والخطيب كما هو المنبر الإسلامي. واقدم ما هو موجود في أوربا الذي موجود في أمستردام ويعود للعام ١٦٧٥ ولندن الى أعوام ١٧٠٠ و١٧٩٠،والمعبد الأخير تهدم إبان قصف هتلر في الحرب العالمية الثانية.

وأقترنت المسيحية بـ(الكنيسة) هو أسم يرد من الآرامية بصيغة ((cnoushto والذي يعني جماعة أو محفلاً وقد كانت قد استعملت في الإسلام بصيغة "صوامع" ووردت في القرآن الكريم،ومازال المعنى يدل على المنائر في المغرب الإسلامي .ودرجت في اللغات السامية الجنوبية كالحبشية بصيغة (مكوراب (Mekurabوهي قريبة من لفظ ومعنى محراب العربية .وقد استعملت في اليونانية بصيغة (اكليسيا) بالمعنى نفسه الوارد من الآرامية، ومنها انتقلت الى اللغات اللاتينية ومنها الفرنسية((Eglise والإسبانية(..(Eglesiaواستعملت بالإيطالية(باسيليكا (Bazilicaوفي الرومانية ((Biericaالتي هي مقتبسة من كلمة (بازيليكا) التي ورثوها من الرومان وكانت تضطلع بدور المحكمة التي أنتقل هيكلها المميز إلى العمائر المسيحية الأولى بعد العام ٣٠٩م. وفي اللغات الشمالية جاءت متقاربة مع الإنكليزية التي استعملت (جيرج (Churchوجاءت بالسويدية (شيركا .(Kyrka

ويرد كذلك إصطلاح (بيعة) في المصادر العربية ،حيث أجمع بصدده عشرة علماء من التراث على انه سرياني وشذ بعضهم على انه عربي، وهم ثاودورس إبن كوفي أسقف كسكر(قلعة سكر العراقية) (حوالي ٧٠٠م) في كتابه (أسكوليون –مج ٢ ص٤- طبعة باريس) ويشو عداد المروزي أسقف الحديثة في آثور (نحو ٨٥٠م) في كتابه (تفسير أسفار العهد الجديد مج ١ ص ١١) وحنا نيشوع بن سروشويه أسقف الحيرة(نحو ٩٠٠م) في معجم بهلول وموسى إبن كيفا أسقف بارمان، وبيت كيونا (بعد عام ٩٠٣م) في كتابه (الخطب مج ١ ص ٩٠١). والحسن بن بهلول عام ٩٦٣م في معجمه -عمود ١٣٠٨-١٤٠٩ ،والطبيب أبو نصر إبن جرير التكريتي السرياني(نحو عام ١٠٧٩م) في كتابه الموسوم بـ(المرشد) في الباب التاسع. ويعقوب إبن صليبي مطران آمد السرياني (بعد العام ١١٧١) في كتابه تفسير الأنجيل-طبعة باريس مج١-ص ٣٨١ ، ويعقوب البرطلي ،مطران دير مار متي وأذربيجان السرياني (حوالي ١٢٤١م) في كتابه (الكنوز). والعلامة مار غريغوريوس بن العبري(بعد العام ١٢٨٦م)، في كتابه مخزن الأسرار. وهي واردة من (بيت عيد) أي محفل أو جماعة وجمهور، حيث يعتقد أفرام الأول برصوم في كتابه الألفاظ السريانية في المعاجم العربية بانها أدغمت بين كلمتين (بيت) و(عيد) كما هي حال إقتضاب البيت الى باء في مدن العراق الآرامية، كما في (بيث- إذرو) فأصبحت (بيدر) ثم بيث ذرايا الى (بدرة).

وقد جاءت في الشعر الجاهلي منسوبة الى ورقة إبن نوفل :

أقول إذا صليت في كل بيعة
تباركت قد أكثرت باسمك داعيا

وأورد أبو نصر التكريتي في المرشد: (البيعة عبري تفسيره الجماعة،وليس المراد بهذا الاسم الحيطان ولا الجدران، لكن المجمع الذي يجتمع به المؤمنون بالمسيح للصلاة والعماد والقربان وباقي العبادات. وفي اليوناني أقليسيا، ومعناه الدعوة أي أن الشعوب المجتمعين فيها دعوة الى العبادة. وفي السرياني (كنوشتو) أي جماعه، و(كنوشيو) أي إجتماع. ومن المحدثين من أدلى دلوه فها هو الأب لويس شيخو المتوفى عام ١٩٢٧، ذهب إلى أن اللفظة سريانية من (بيعتو (Biitoومعناها البيضة أو القبة، إشارة الى شكل بناء الكنائس قديما (النصرانية وآدابها بين غبر الجاهلية ج١ ص ٢٠٠١). وذهب البطريرك أفريم رحماني المتوفى عام ١٩٢٩ الى أنها مشتقة من لفظة (واعيد (Waeedومعناه جمع ولأم (الليتورجيات الشرقية والغربية ص ٥٦). وأرتأى المطران يوحنا دولباني السرياني من الفترة نفسها أنها مصدر من فعل (وعيد (Weadومعناه المات.

وأقترن الإسلام آخر الأديان التوحيدية بأسم (المسجد) (بكسر الجيم) فكل موضع يتعبد فيه فهو مسجد. وهو وارد من فعل السجود في الصلاة، والذي يعني في اللغة الخضوع كما قال الشاعر(ترى الأكم فيها سجدا للحوافر)، وكذلك فعل وضع الجبهة على الأرض خضوعا ونعتقد بأنه نوع من كشف ظهر الرقبة وتعريضها للنحر، وهو دلالة رمزية على التسليم والخضوع كما هو التقليد في الثقافات الكنعانية والآرامية. ونجد السيوطي يقول أن المعنى وارد من السريانية الآرامية كما في قوله تعالى(و أدخلوا الباب سجدا) أي بمعنى مقنعي الرؤوس بالسريانية. ويقال مسجد جامع أي مسجد تؤدى به الصلوات الكبرى والجماعة والذي يضطلع بصفة المركزية في الأمصار الإسلامية. وترد كذلك درجاته وأهميته وهيئته الوظيفية بصيغ المسجد الأعظم والمسجد الأكبر ومسجد الجماعة ومسجد الخطبة وجامع الخطبة ، وأمست مساقطه الأساسية أربعة، منها النبوي (مستطيلان) ثم العراقي-السلجوقي (أربعة إيوانات) ثم المتضام التبريزي- البلقاني (وباكورته المسجد الأزرق في تبريز)،وأخيرا المتضام التركي، ذو القباب المتراكبة، كما في مساجد المعمار سنان.

وقد تدرج اسم(المسجد) في اللغات الغربية من خلال إسبانيا وصقلية، التي حرفته من العربية أو البربرية(مسيد أو (Ta- mesqidaلثقل الجيم وبصيغة المؤنث لأن المعبد في اللغة الأمازيغية يرد بصيغة مؤنثة (تمسجد) فتحول بسبب ذلك في الإسبانية الى ((Masquita بصيغة مؤنثة ومنها الى الإيطالية بنفس اللفظ واختلاف الكتابة((Meschita ثم الى الفرنسية((Mosqueeللتسهيل الذي ورد فيها، ثم الى الإنكليزية ((Mosque،وأنتشر بعد ذلك في اللغات الأوربية. أما في البلقان فهم يطلقون عليه (جاميي (Giamieأي (جامع). وبصدد ذكر المسجد في القرآن الكريم فقد ورد ذكر لفظ (مسجد) ٢٨ مرة في القرآن الكريم ،كما وردت كلمة (يسجد) و (سجود) ٧١ مرة. وقد ورد بصيغة (بيت٩ ١٦ مرة كما في مثلا (في بيوت أذن الله أن ترفع) .

الطرز المعمارية

ويمكننا رصد طرز وتطور الظاهرة العمارية في الحضارات بحسب تطورها الفكري والمادي، ونجد على العموم أن النزعة الى الصرحية في المعابد والمدافن جاءت لمبررات نفسية "سيكولوجية" بحتة لما ارتبطت به سطوة الحجوم المبالغ بها والتي تفوق المقياس الإنساني وتوحي له بالخوف والرهبة ، مثلما هو شعور الإنسان نحو الجبال التي جاء يوما من حاضنة كهوفها. ونجد ذلك صريحا في عمارة العراق القديمة لاسيما (الزقورات) الضخمة المبنية من اللبن (الطين -الطفلة) ، التي جعلت من بناتها يلجؤون الى رفعها على منصات أو مصطبات اصطناعية مبنية من الخامة نفسها ، ومثالها في (المعبد الابيض) في أوروك (الوركاء)،حيث أنتصب على مصطبة عالية لتضفي عليه منظراً مهيباً. وأقترنت الصرحية بمفردات عمارية ترمز الى حركة تصاعدية نحو السماء تجسدها درجات السلالم والمنحدرات والمعارج . ومن أجل تفادي حالة الإنبعاج الإنشائية للحائط الصفيق فقد دعمت الجدران بركائز أو دعامات من الخارج(خرجات ودخلات) . وهكذا فأن مقاييس وتخطيط وتفاصيل المعبد الأبيض في أور تشبه كثيرا مجمعات المعابد السومرية الاحدث عهدا ، وهكذا يمكن اعتباره نموذجا أقتدي به تباعا .

وفي مرحلة لاحقة أختير للصروح في قمم الروابي والجبال والهضاب لاسيما في شمال العراق عند الآشوريين في اربيل و كركوك التي أمست معابدها المرتفعة كبؤرة لتخطيط المدن اللاحق. ولم تكتف مراكز المدن على الوظيفة العقائدية فى مدن الشرق القديم ومنها بلاد ما بين النهرين ، حيث ضم المركز على تخوم الزقورة القصر الملكى المحصن جيدا ،وقد جاء هذا العرف مسترسلا في المدينة الإسلامية حينما تاخم قصر الإمارة المسجد الجامع. وحول هذه النواة السياسية الادارية والروحية كانت تشاد احياء العامة من البيوت الطينية. وتحاط المدينة بسور يطوف بها، و لكل حي تحصيناته وبواباته . ونجد وصف مدينة نيبور الوارد فى القصائد والاساطير والاناشيد القديمة (المدينة حصن وملجأ)ما يؤكد أن المدينة السومرية ذات وظيفة دفاعية ، تضاف الى وظائفها الدينية والإدارية.

أما في مصر فقد بنيت المعابد من الحجر لديمومته بينما بنيت دور العامة من الطين. وبالمقارنة بالهاجس الديني فأن العمارة المصرية القديمة جاءت أكثر تدينا من مثيلتها في العراق وأقامت عمارة مبهرة ومتطورة سخرت بمجملها لهدف عقائدي صريح،و هو الخلود بعد الموت وتجسد ذلك المنحى بالمعابد الواسعة والأنصاب الضخمة على سفوح الجبال وأعلى الهضاب ولاسيما في مصر العليا وكذلك الحال في المقابر المهولة التي تؤكد فيها تلك الآصرة بين العمارة وروحانيات العقائد ،وما عمارة الاهرامات إلا خير تجسيد لتلك النزعة الصرحية التي أختارت هضبة الجيزة لها لتهبها صرحية أستثنائية،وقد بقيت العمارة الدينية شاهداً على مجتمع متدين وطقوس ،على عكس عمائر عامة الناس ،وفقرائهم الذين درست مبانيهم الطينية المتواضعة. وبنيت العمائر الدينية على جانبي النيل،و اختصت معابد الجانب الشرقي منها لأقامة الصلوات والعبادات والجانب الغربي لمعابد الحفلات الجنائزية بعد الوفاة وأهمها وأقدمها الكرنك (٢٧١٦ ق.م) وأبو سنبل(١٥٥٠ ق.م). ونجد أن المدن أتخذت تخطيطا خطيا موازيا لسجية وادي النيل ولم تتخذ الشكل المدور الذي سجت عليه مدن العراق القديم والإسلامي.

وأقتبست العمارة اليونانية بما يناسبها من آشور وطيبة،في العمران والعمارة، ووجدت ضالتها في تضاريس البلاد الجبلية ،حيث استقرت على قممها المعابد مثل (البارثينون) . وقد جاءت طرزها المعمارية و"ليس تصميمها" مقلدة طرز القصور التي سكنها الملوك والأمراء بعد تحول الدويلات الى جمهوريات . فحلت في محل تلك القصور الموروثة من العهود السابقة صروح دينية ، و أصبحت على حين غرة (بيوت الآلهة) والتي اتخذت لنفسها الصفة السابقة نفسها المتعلقة برموز السلطة والهيمنة ، والتي اصطبغت فيما بعد بهيئة أخرى تجسدت بسلطة المعابد والكهنوت ورجال الدين الروحية . وننوه هنا الى أن اكثر خصوصيات العمارة اليونانية هي المسارح التي جاءت في حقيقة إنشائها أول مرة لحاجة "طقسية" ملحقة بمنظومة الطقوس المعبدية .

أما العمارة الرومانية فهي من العمارات "ضعيفة العقيدة " وحاولت أن تكرس حالة مادية أرضية هدفها إظهار سطوة القيصر و السلطة وما يعكسه ذلك من نتائج سيكولوجية ،. والعمارة هنا دنيوية و يضعف في طياتها الهاجس الروحي ،بالرغم من إعتمادها الصرحية وسيلة وغاية ،بما أوتيت به من موروث عمائر العالم القديم إقتداء بالعمائر اليونانية و الكنعانية ،وثراء خامات البناء التي وهبتها لها الطبيعة من رخام وحجر وخشب غابي. فأخذت العقود والقبوات والقباب من العراق عن طريق الشام التي نقلها اليها معماريوها مثل (أبو لودور الدمشقي)(٦٠-١٢٥ ق.م) ،وأقتبست تقنيات الحجارة وهندمتها من اليونان ومصر وكنعان وفينيقية في الشام. وهكذا أتفق البشر على إختلافهم على تفريغ هو جسم الروحية بصيغ بنائية وفنية تبقى الاجمل في كل ما ابدعه الانسان في التاريخ.

الليبراليون الجُدد في كتاب

شاكر النابلسي

المدى الثقافي

تمخّض الجدل الفكري الذي دار عامي ٢٠٠٣- ٢٠٠٤ حول ظاهرة الليبراليين الجدد عن كتاب تحت عنوان (الليبراليون الجدد: جدل فكري) لشاكر النابلسي الذي صدر في مطلع هذا الشهر سبتمبر ٢٠٠٥ عن "دار الجمل" في كولون بالمانيا.

ومن المعروف أن كثيراً من الليبراليين الجدد العرب طالبوا بكتابة ميثاق وطني لليبراليين، وطالب فريق آخر بانشاء منتدى أو رابطه أو تيار أو حزب .. الخ. وقد أثبتت الأيام الماضية بأن الليبراليين العرب الجدد قد أصبحوا أكبر من هذه التجمعات التقليدية، كما أصبحوا مثل الشركات العابرة للقارات حيث أنهم ينتشرون الآن ليس في العالم العربي فقط، ولكن في القارات الخمس، وذلك بفضل الديكتاتورية العربية التي شتتت الليبرالين في كل بقاع الأرض، وطردتهم من الحلبة الوطنية العربية.

قال شاكر النابلسي: الليبراليون الجدد شركة فكرية ثقافية سياسية عابرة للقارات، لا عقد فيها بين الشركاء، وهم أحرار فيما يقولون وفيما يصفون، فلا حزب يربطهم بمواقف موحدة، ولا رابطة تربطهم ربطة واحدة تجاه الأحداث الجارية، ولا تيار يجعل منهم نسخاً مكررة، فلكل مثقف ولكل مفكر منهم طعمه ومذاقه ونكهته الخاصة، ولكل منهم حريته المطلقة في التفكير والتحرك، ولا طرد ولا شطب ولا إلغاء في نهاية النهار نتيجة للمواقف الشخصية تجاه الأحداث.

فمنهم من يعتبر أن ما تم في العراق تحريراً وليس احتلالاً، ومنهم من يرفض ذلك، ومنهم من يقف ضد الكفاح المسلح ومنهم من يؤيده، ومنهم من كتب "البيان الأممي ضد الارهاب" المرفوع لمجلس الأمن والأمم المتحدة ومنهم من عارضه، ومنهم من وقع على عرائض معاقبة بعض وسائل الإعلام ، ومنهم من رفض ذلك، ومنهم من كتب في صحف كانت تساند وتدعم الديكتاتورية في العراق ومنهم من لم يفعل ذلك، ومنهم من انتقد سيد قمني بمرارة على خضوعه لتهديدات الإرهابيين ومنهم من دافع عنه.. الخ.

واشترك في تحرير هذا الكتاب عدة كُتّاب ليبراليين وعدة كُتّاب من أعداء الليبراليين. وانقسم هذا الكتاب إلى قمسين : القسم الأول يضم نماذج من كتابات الليبراليين كشاكر النابلسي وسيار الجميل وكمال غبريال وهاشم صالح وخالد شوكات وهاني نسيرة وأحمد البغدادي، والقسم الثاني يضم نماذج من كتابات المعارضين لخط الليبراليين كمحمد عبد الحكيم دياب وبشير موسى نافع ومسفر القحطاني و لطفي حاتم و عبد الحميد خضر ورياض صوما وعصام العول وتركي الربيعو وفالح الحمراني ومطاع صفدي.

وفي هذا الكتاب كتب شاكر النابلسي عن الليبراليين الجدد وخطابهم، وعن المحافظين الجدد والليبراليين الجدد بين الواقع ومهاترات الغوغاء، وكيف أن الليبراليين السوريين الجدد ينهضون. وكتب سيار الجميل عن الليبرالية الجديدة: الماضي والحاضر والمستقبل، وعن الليبرالية العربية الجديدة: مفاهيم عصر راهن. وكتب كمال غبريال عن الليبرالية الجديدة وفضاء يتشكل: مقاربة لمانيفستو الليبراليين الجدد. وكتب هاشم صالح عن هزيمة المحافظين الجدد في العالم العربي. وكتب خالد شوكات عن الليبراليين الجدد أو الليبرالية كما أفهمها. وكتب هاني نسيرة عن الليبراليين الجدد في المنطقة العربية. وكتب أحمد البغدادي : نعم، الليبراليون وحدهم هم الديمقراطيون.

وفي القسم الثاني : من الخطاب المضاد لليبرالية، كتب محمد عبد الحكيم دياب عن الليبراليين في التجربة المصرية. وأعد "مركز أبعاد للخدمات الإعلامية المتكاملة" في الكويت بحثاً عن أزمة الليبراليين: الكويت أنموذجاً. وكتب بشير موسى نافع عن أزمة الخطاب الليبرالي العربي الجديد. وكتب مسفر القحطاني عن الليبراليين الجدد في حقبة ما "تحت" الحداثة. وكتب لطفي حاتم عن اللّيبرالية العربية بين المراجعة التاريخية والروح الإنقلابية. وكتب عبد الحميد خضر الليبرالية الجديدة رجس من عمل الشيطان. وكتب رياض صوما عن الليبراليين الجدد في ناحية اليسار. وكتب عصام العول كيف أن الليبراليين العرب صناعة يهودية. وكتب جون الترمان كيف أن الليبراليين العرب هامشيون في بلدانهم. وكتب تركي الربيعو يتساءل: هل رسالة التنوير الأمريكي عودة إلى عصر الإستعمار؟ وكتب فالح الحمراني ينذر لكي لا يرتكب الليبراليون العرب أخطاء نظرائهم الروس. وكتب مطاع صفدي عن الليبرالية المُستعرِبة الجديدة: ايديولوجيا التسليم بالعجز العربي المُستدام.

وكانت هناك اضاءات على الليبرالية كتبها كل من: حسن حنفي، حاتم المطيري، صلاح المختار، ئاسو جرمياني، محمد سعيد طالب، خالد جمال المطوع، باتر وردم، أبو عامر المهاجر، موقع التجديد، موقع إخوان أون لاين.

وقال شاكر النابلسي في مقدمته لهذا الكتاب: ثار جدل فكري كبير في عامي ٢٠٠٤، و ٢٠٠٥ حول مجموعة من المثقفين والمفكرين العلمانيين والحداثيين الذين أُطلق عليهم "الليبراليون الجدد". وكان مثار هذا الجدل بالدرجة الأولى موقف الليبراليين الجُدد من كارثة ١١ سبتمبر ٢٠٠١، والكفاح المسلح، والتعليم الديني الظلامي، والحملات الإرهابية المسلحة في العالم العربي، وتحرير العراق في ٢٠٠٣ ، ومشروع "الشرق الأوسط الكبير"، والإصلاح السياسي العربي، والانتخابات العربية تحت حراب الاحتلال... في حين أن المثقفين "القوميين"، و"الإسلاميين" الذين كتبوا وخطبوا عبر الفضائيات والمؤتمرات القومية والدينية، وراهنوا على فشل التجربة الديمقراطية في العراق، واستمرار الكفاح المسلح كطريق وحيد للتحرير الفلسطيني من البحر إلى النهر، ووقفوا إلى جانب الإرهاب الدموي الذي كان يقترف جرائمه تحت مظلة "المقاومة"، والذين راهنوا على أن لا انتخابات شرعية ونزيهة وشفافة تحت حراب الاحتلال، ونسوا ما جرى في اليابان وكوريا الجنوبية والمانيا وايطاليا... كل هؤلاء لا يستطيعون الآن أن ينظروا في المرآة لكي يروا كيف اسودت وجوههم، وخابت آمالهم، وتبخرت أحلامهم، وباتوا بلا ظهراء ولا قراء، بعد أن تحقق على أرض الواقع خلاف ما كتبوه على صفحات الجرائد، وقالوه على شاشات الفضائيات.

وقد تم إهداء هذا الكتاب إلى ذكرى رائد الليبرالية العربية: طه حسين.